جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الميتـاشعريـة في الشعر الجزائـري الحديث
محمد الصالح خبشاش أنموذجا

Metapoetics in contemporary algerian poetry
mohamed salah khabshash as a model

موسى كراد [1]
kerradmoussa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 30/01/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف عند مصطلح نقدي جديد وهو الميتاشعر أو الشعر على الشعر في الخطاب الشعري الجزائري الحديث عامة وعند الشاعر محمد الصالح خبشاش على وجه الخصوص؛ إذ تتجلى هذه الظاهرة في شعره كثيرا. وذلك من خلال الكشف عن أسبابه ودواعيه وتقنياته المختلفة، بالاضافة إلى أدواته وآلياته النقدية المتنوعة، إذ يعد الشعر الواصف نقدا للنقد وإبداعا موازيا للنقد في حد ذاته. وهو يدل على وعي الشاعر بتجربته وحسه النقدي.

كلمات مفتاحية: الميتاشعرية؛ النقد، الشعر الجزائري الحديث، خبشاش.

Abstract:

This research paper attempts to address a new critical term, which is "metapoetry" or "poetry about poetry," in the poetic discourse of Mohamed Saleh Khabshash; this phenomenon is prominently reflected in his poetry. This is achieved by revealing its causes, motivations, and various techniques, in addition to his diverse critical tools and mechanisms. Descriptive poetry is considered a critique of criticism and a parallel creativity to criticism in itself. It indicates the poet's awareness of his experience and his critical sensibility.

Keywords: Metapoetics ؛ Criticism؛ contemporary algerian poetry؛ khabshash؛

(1) جامعة أم البواقي (الجزائر)

مقدّمة:

ينتمي الشاعر الجزائري محمد الصالح خبشاش إلى جيل العشرينات والثلاثينات في المجايلة الشعرية الجزائرية والتي شهدت بدايات النهضة الأدبية الحديثة، بما عرفته من انطلاقة جديدة نحو إحياء للشعر العربي القديم والتعبير عن روح العصر والدعوة إلى تحقيق قفزة شعرية ناهضة، تنتفض ضد الركود والجمود والتخلف الحضاري والعلمي، والذي مسّ الجانب الأدبي والفني فأضحى الشعر شعرا تعليميا فقهيا لا يعبر عن الواقع.

وقد عبّر خبشاش عن هذه الفترة بكل تجلياتها شكلا وموضوعا، مع بعض التفرد الذي تميز به بالمقارنة مع غيره من الشعراء الجزائريين.

من هذه السمات الفنية التي تميز بها خبشاش طريقته في التعبير الشعري؛ حيث اختار تقنية بديعة أطلق عليها بعض النقاد الميتاشعر، أو "الشعر على الشعر " أو " الشعر الواصف"، وهي تقنية أدبية نقدية يجعلها الشاعر وسيلة يقدم من خلالها رؤية نقدية حول موضوع الشعر وما يتصل به من مفاهيم أدبية ونقدية، وقد تجلت في شعره كثيرا من خلال العديد من القصائد التي تنبئ عن هذه التقنية إما في عناوينها وإما في متنها الشعري.

وقد ركز محمد الصالح خبشاش من خلال هذه التقنية في معالجة العديد من القضايا النقدية الشائكة، وإنّنا نختار في هذه الورقة البحثية قضيتا "مفهوم الشعر " و" وظيفة الشعر" للاشتغال عليها كشفا وتجليا ودراسة.

الميتا شعر (مفاهيم ورؤى)

بداية يمكن أن نجد لهذا المصطلح القديم الجديد مصطلحات مماثلة ومشابهة منها " الشعر الوصف" القصيدة عن القصيدة" "الميتا شعر"، والمصطلح الأخير هو أكثر رواجا وتلقيا وقبولا من طرف النقاد، خاصة مع ظهور كتاب الباحثة هدى فخر الدين (الميتاشعرية في التراث العربي)، وقد اخترنا في بحثنا هذا الاعتماد على مصطلح الشعر على الشعر.

وهو في أبسط تعريفاته الشعر الذي يتناول الشعر والشعراء، ويعنى بتعريف الشاعر ذاته ورسالته ووظيفته (فخر الدين، 2021، صفحة 53). أي أن ينسج الشاعر أبيات قصائده ويجعلها تتحدث عن الشعر؛ تبين سماته وأركانه أو تبرز غاياته ووظائفه المختلفة، وتفصل في الرؤية الشعرية للشاعر، بل نجدها تلتفت إلى معاناة الشاعر وهواجسه.. كل ذلك في حوار تفاعلي تثاقفي مع عصره والعصور الأدبية السابقة حتى تصبح الكتابة الشعرية عملية مستمرة لتقييم الذات في ضوء الشعراء السابقيين وأعمالهم.." (فخر الدين، 2021، صفحة 55)

تعتبر هدى فخر الدين " الميتاشعرية طريقة الشاعر في وضع نفسه على نحو فعال وبالقوة أحيانا ضمن إطار تراث ما، فمن خلال استحضاره للشعراء السابقين لا يعرض الشاعر معرفته بالشعر السابق ويمنح عمله السلطة فحسب بل يجعل نفسه جزءا من التراث" (فخر الدين، 2021، صفحة 54)

ف «الميتاشعري» كل شعر كل قصيدة موضوعها الشعر من داخل الشعر نفسه، يصبح الشاعر من خلالها ناقدا لشعره بدرجة أولى وسابقة؛ فيقدم الميتاشعر أو الميتاقصيدة الواصفة الخاصة، الكلام عن الشعر وما يتعلّق بمفهوماته، وحدوده، ولغته، ورؤيته للعالم، ومصادر إلهامه، ومجموع علاقاته بالذات والآخر، التراث والحداثة، الوطن والمنفى، إلخ. إنّه الشعر على الشعر، وهو

أشبه ما يكون بتنظيرٍ ناعمٍ لمآلات العملية الشعرية وهواجسها والجدوى منها، يعكس –حتما – قلق الشاعر الحديث ووعيه الحاد بأدوات عمله التعبيري.. (الوراري). فلا يمكن للشاعر الحديث (فخر الدين، 2021، الصفحات 54-55) " أن يكون شاعرا دون أن يكون ناقدا في الوقت نفسه وناقدا لعمله في المقام الأول".. وتصبح قصيدته إبداع نقدي وتأمل إبداعي، بما تحمله من لغة ونضج ووعي فني.

وظاهرة الميتا شعر لم تقتصر على زمن تاريخي، ولا عصر أدبي دون آخر، بل إنّنا نجد لها حضورا في مختلف الآداب القومية والوطنية منذ العصور الأولى إلى يومنا هذا، في الأدب العربي والغربي، على الرغم أن النقاد المعاصرين أكدوا أنها بدأت بالظهور في أوروبا، نتيجة مرحلة الحداثة وما تبعها من تطور وتمرد.. في العالم ككل، من بينه العالم العربي حيث تجلت هذه الظاهرة في شعر الحداثة العربية وخاصة شعر التفعيلة الذي قادته نازك الملائكة وصلاح عبد الصبور ويوسف الخال ومن سلك مسارهم الابداعي والنقدي الجديد، إلا أننا ألفينا نماذج كثيرة في شعرنا العربي القديم اهتمت بهذه القضية، خاصة لدى شعراء العصر العباسي في شعر أبي تمام والمتنبي.. وغيرهم من الشعراء.

وكما سبق الذكر فإن الخطاب الميتاشعري كان حاضرا متجلياً في كل العصور الشعرية، فها هو عنترة بن شداد في معلقته يبتدأ قصيدته بالبيت الشعري الشهير(هل غادر الشعراء من متردم)، معبرا عمن سبقه من الشعراء في تناولهم للشعر ومعانيه ومبانيه. وجاء أيضا في قصيدة أبي الطيب المتنبي التي قال فيها: (المتنبي، صفحة 372)

أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما بشعري أتاك المادحون مرددا

وفي الشعر العربي الحديث نماذج كثيرة مثل قصائد نزار قباني، وأبي القاسم الشابي، وأحمد شوقي، حيث التفت الشعراء إلى القصائد الوصفية، في دواوينهم الشعرية، من ذلك قول نزار قباني: (قباني، صفحة 749)

يا اصدقائي:

ما هو الشعر إذا لم يعلن العصيان؟

وما هو الشعر إذا لم يسقط الطغاة والطغيان؟

وقول الشابي: (الشابي، 1955، صفحة 135)

يا شعر أنتَ فمُ الشعورِ وصرخةُ الروحِ الكئيبْ

أمَّا عن الموضوعات التي شغلت بال الشعراء وضمَّنوها شعرهم وقصائدهم في الشعر الحديث والمعاصر فكانت هموم الشاعر وغاية الشعر ومحاولة التعبير عن حالات الرفض واليأس والإلهام.

تجليات الميتاشعري في شعر محمد الصالح خبشاش

1. مفهوم الشعر:

لقد ارتبط مفهوم الشعر لدى الشعراء الجزائريين في بداية النهضة الأدبية الحديثة بمفهوم الشعراء والنقاد القدامى وبما خلّفه التراث النقدي العربي القديم، وتلقى تأثيرا في الوقت نفسه ببعض التيارات الشعرية الحديثة، وكان لهذا التبني دواعيه ومسبباته الفنية،

منها العامل التاريخي الذي كانت فيه معظم البلدان العربية تحت نير مختلف الاستعمارات الغربية، بالاضافة إلى العامل الفني المرتبط بفترة الإحياء الشعري الذي عرفته النهضة الأدبية العربية الحديثة.

وقد كان الشاعر محمد الصالح خبشاش من الشعراء الجزائريين الذي تجلى تأثرهم بالتراث الشعري والنقدي العربي القديم، مع ما يملكه من نزعة تأثرية بالأدب الغربي لاتقانه للغة الفرنسية. وهذا ما جعله يضمن رؤيته الفنية للشعر في قصائده الشعرية، موظفا ما اصطلح عليه بالميتاشعري.

لهذا كانت إحدى قصائده الواصفة التي تضمنت الشعر على الشعر الدعوة إلى الحفاظ على التقاليد الّشعرية، خاصة ما تعلق منها بمفهوم الشعر، وقد اتخذ من شعره وقصائده ميدانا واسعا قدم فيه مفهومه للشعر ورؤيته النقدية في شروطه وأركانه ومضامينه، فنجده في قصيدة (إمارة الشعر) يصف شروط التمكن من (إمارة الشعر)، فمن هذه الشروط التي يضعها أن يكون:

- **بليغا**: (خبشاش، 2024، صفحة 211)

و(أبلغه) المهفهف في معان — دقيقات وبينة الإشارة

تخال الطير يخفق فوق غصن — رطيب ليس تعوزه المهاره

- **رشيقا**: (خبشاش، 2024، صفحة 211)

و(أرشقه) الملفف في برود — من الألفاظ تكسبه استناره

- **ذو نفاذ**:

و(أنفذه) نسيج من حماس — فتذكي لوعة الأوطان ناره

وفي قصائد كثيرة يذكر الشاعر محمد الصالح خبشاش بعض مساوئ الشعر ومزالقه وبعض ما يقع فيه الشعراء من مآخذ تضعف الشعر وتجعله هزيلا مريضا رديئا، يقول: (خبشاش، 2024، صفحة 211)

عجبت لمن تطمح للإمارة — بشعر ليس منسجم العباره

وفي الشعر المزالق وهي شتى — فمن في قطرنا يعلو مناره!

- **"أردؤه" الذي**:

و(أردؤه) عدو التطبع قول — ثقيل الوضع مسلوب النضاره

- **لا يرتبط بالحجم** (خبشاش، 2024، صفحة 202)

إذا لم أطل فيما أقول من الشعر فقد جئت فيه بالحلال من السحر

وللشعر تأثير وإن قلّ لفظه وليس بمكيال الذراع وبالشبر

- **لفظ غير وحشي:** (خبشاش، 2024، صفحة 202.)

وأودعته لفظا شهيرا وحكمة وما أنا بالوحشي منشرح الصدر

- **فيه تنميق – مبالغ فيه–:** (خبشاش، 2024، صفحة 165)

يَا سابحًا في بحورِ الشِّعرِ تَقْطَعُهَا تَكَسَّرَتْ بكَ أشطَارًا قَوَافِيهِ

خَلِّ القَرِيضَ قَرِيضًا لَا تُنَمِّقُهُ بئسَ الكلامُ إذا شَذَّتْ مَبَانِيهِ

الشِّعرُ صعبٌ فليسَ اليوم تَعرِفُ في أوطانِ مَزْغَنَّةَ منْ ظِلِّ يَدْرِيهِ

ويقول أيضا في قصيدة (القَرِيضُ المرِيض) (خبشاش، 2024، صفحة 169)

طَرَدُوا النَّاسَ عنْ حِيَاضِ القَرِيضِ حينَمَا طَنْطَنُوا بلفظٍ مَرِيضِ

خَانَهُم سِحرُهُ الحلالُ ولكنْ قدْ تَغَالَوا بمَا بَدَا منْ وَمِيضِ

لَمْ يَرُقْ منهُ نسجُهُ فتَبَدَّى بينَ أهلِ الآدابِ كالمَرفُوضِ

هلْ تَرَى جَهْرَةً وهلْ أنتَ تدري طائرًا طارَ بالجناحِ المَهِيضِ

والطَّرِيفُ الظَّرِيفُ إنْ طَرَقُوهُ أهملُوا فيهِ نُكتَةً لتَحْمِيضِ

رُبَّ شِعرٍ مُخَدِّرٍ لشُعُورٍ سَوَّدُوا وجهَهُ بمعنًى بَغِيضِ

ونَسِيبٍ مَهُوع قدْ تلاشَتْ نسبةً بينَهُ وبينَ العَرُوضِ

وقَرَائحَ قدْ أتَتْ بقَصِيدٍ كطَنِينِ الذُّبَابِ أو كالبَعُوضِ

أَسنِدِ الأمرَ للطَّبيعةِ وأَجزِلْ يا أخَانَا ومِلْ إلى التَّفْوِيضِ

فإذَا ما نَبَا عنِ الشِّعرِ طَبْعٌ كانَ شِعرًا مُؤَدِّيًا للنَّقِيضِ

نجد خبشاش يصف حالة الشعر والشعراء في عصره، في موضوعاته ومعانيه (معنى بغيض) (مخدر لشعور)، وشكله وأسلوبه وأوزانه وقوافيه (نسيب مهوع) (تلاشَتْ نسبةً بينَهُ وبينَ العَرُوضِ)، لذا فقد شبهه بطنين الذباب أو البعوض، لأنه لا يقدم معنى مفيدا ولا ممتعا، ولا يحترم قواعد وشروط نظمه ونسجه، فهو مرفوض وممجوج عند أهل الأدب والصنعة الشعرية.

فالشعر عنده حسب الناقد (الرفاعي، 2010، صفحة 146) "قول منظوم ببيان ساحر بليغ في سبكه، رشيق في معانيه صادق في عواطفه بعيد عن التكلف"، فالنماذج الميتاشعرية التي قدمنا وغيرها تؤكد بأنَّ محمد الصالح خبشاش ضمن آراءه في الشعر وأساليبه وما يتصل به من مفاهيم أثّرت في شعره شكلا ومضمونا، وأضفت عليه سمات خاصة به حددت بيئته الثقافية وعصره السياسي.

والملاحظ أيضا على المفاهيم الأدبية التي قدمها خبشاش أنها تمت بصلة إلى التراث الأدبي القديم وتربط بين الشعر الجزائري الحديث وبين أصوله، فقد ظل الشعراء التقليديون محافظين –ومحمد الصالح خبشاش يمثلهم وينتمي إليهم – على المفاهيم الأدبية القديمة بصورة عامة، بحيث نجد مفهوم الشعر عنده مفهوما يعكس القديم، خاصة في الاحتفاظ بسمة البحر والوزن والقافية، وتعدد الأغراض وغيرها..، والتي تتصل بالآراء القديمة النقاد في مفهوم الشعر من ذلك رأي ابن طباطبا الذي يقول فيه (طباطبا، 1956، صفحة 3) "الشعر أسعدك الله – كلام منظور، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل من جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود".

مما يثبت أنَّ الشاعر ألمّ بالرأي السابق وغيره من الآراء القديمة والمماثلة له وتأثر بها وطبق مفاهيمها على شعره مما جعله شعرا تقليديا فهو شاعر مخضرم ألمَّ بالقديم والحديث من المفاهيم الأدبية إلا أن صلته بالمفاهيم القديمة أعمق وأقوى من صلته بالتيارات الأدبية الجديدة

وفي الوقت نفسه يجد الدارس بعض المفاهيم متأثرة بالنهضة الأدبية الحديثة وما ظهر إبانها من تيارات في الأدب والنقد، دعت إلى التجديد في مفاهيم الشعر وأساليبه وأثارت قضايا ما زال بعضها يحظى بعناية الدارسين.

فتجلى الشعر عند خبشاش روح حبلى بالشعور والإحساس الصادق والجميل يقول في قصيدة (الجزائر تحي مصر)، والتي قالها في شخص الست فاطمة رشدي (خبشاش، 2024، صفحة 139)

ساغ لي اليوم أن أصوغ النشيدا ناهجا منهجا بديعا فريدا

إنَّ روح الشعور تظهر في الشعـ ـر والشعر رواق لن يبيدا
فإذا احلولك الظلام على الشا عر مدت آلهة الشعر جيدا
وأنارت بحسنها ما احتواه ولانت له الجموح الشريدا
تتجلى ملائك الشعر طرا حول من يبدع الغنا والقصيدا

فمقدمة القصيدة الميتاشعرية تتجلى فيها نظرة جمالية بديعة للشعر، جاعلة من الشعر روحا تحمل شعورا يتخذ من القصيد مجالا للتعبير الصادق، مع رؤية تجديدية تحول الباعث والالهام الذي يجيئ الشاعر من الشيطان (شيطان الشعر في الشعر العربي القديم) إلى ملائك الرحمة والفضيلة، وفي ذلك انزياح بديع نقل فيه الشعر من الرؤية الشيطانية إلى الرؤية الملائكية، تأكيدا على الغاية المثلى والقصد البليغ الذي يجب أن تتوخاه القصيدة؟

إنّ مفهوم الشعر لدى الشاعر خبشاش انطلاقا من النماذج الشعرية المذكورة نجده ذا صلة بالتراث العربي العريق ومفاهيمه الأدبية، ومتأثرا في الوقت نفسه ببعض المدارس الشعرية الحديثة في عصره، فالتقاء التراث القديم بالآراء الحديثة في الشعر الوطني الجزائري سمة تميز بها شعر المرحلة الأولى من النهضة الأدبية الجزائرية.

2. وظيفة الشعر:

وهي قضية إشكالية عالجها النقاد منذ بداية ظهور الكتابة والإبداع في النقد العربي والغربي، انطلاقا من قضية جوهرية محورية كبرى وهي "ما فائدة الأدب".

إنّ الشعر عند خبشاش قضية وطنية يجب أن يتجند لها كل قلم سيال؛ يقول في قصيدته الميتاشعرية (الشعر الخالد) حيث يأتي الشاعر بذكر علاقة الأدب والشعر بالدفاع عن الوطن، لما للشعر من مكانة وتأثير في النفوس والقلوب والشعور. (خبشاش، 2024، صفحة 164)

إنْ قَامَ ذُو أدَبٍ للحقِّ يَحمِيهِ فَاكْتُبْ فَدَيْتُكَ شيئًا منْ أَمَالِيهِ
يا صاحِبَ القلَمِ السَّيَّالِ مَنْ جَمُلَتْ في الوَضْعِ واعْتَدَلَتْ فينَا مَبَادِيهِ
قُمْ وادَّرِعْ بِدُرُوعِ الصَّبرِ مُجْتَهِدًا واحْمِ البلادَ فإنَّ النَّاسَ في التّيهِ
دافِعْ عنِ الوطنِ المَنْكُودِ سَاكِنُهُ والحقُّ يعلُو وإنْ شطَّتْ مَغَانِيهِ

يردد محمد الصالح خبشاش في قصائده الميتاشعرية وظيفة الّشعر التقليدية، وهي الوظيفة الأخلاقية التي تتوّسل بالوعظ والحكمة والنصيحة، ويقول في قصيدة (سيف الشعر): (خبشاش، 2024، صفحة 249)

إذا قمتَ في أرض الجزائرِ داعياً ... للدّينِ وأخلاقِ ونَسْفٍ لبُهتان

فمَا ذاك إلاَّ من عَظَائِم خِلْتَهَا ... بَراكِينٌ لاَ تُبقي شَواهقَ بُنيان

نصحتُ إلى شعب سيصبحُ مُوقِناً ... بأنَّ الذِي قَدْ قلت كلمة يُوناني

بشِعْرٍ كَمِثل السَّيف في عُنُق عابِثٍ ... يُخَرِّبُ أخلاقاً بِهَجْمَة يَابَان

وانصرْ حقاً إنْ تَرَاجَعَ أهْلَه ... بوهرانَ كانَ الحَقُّ أو سُورُ غِزْلان

وانصحُ أقوامِي وفي الشِّعر حكمةٌ ... وما أنَا في تخْبِيره نُون ظَيفان

وما أنَا ذُو شِعْر يُنَافِقُ ربَّهُ ... وتأخُذُهُ في اللهِ نَزْعَة شيْطان

وما أنَا ذُو شِعْر يُفَاخِر ربَّهُ ... بواجبِه نَحْو البلادِ كأوْطَان

فالقصيدة ينبئ عنوانها عن مضمونها الظاهر والمضمر، حيث يتحدث عن وظيفة القصيدة والشعر فيها، فقد شبَّه الشعر كَمِثل السَّيف في عُنُق عابِثٍ يُخَرِّبُ الاخلاق والفضائل، فالشعر عنده للنصح والارشاد (وانصرْ حقاً إنْ تَرَاجَعَ أهْلَه) (وانصحُ أقوامِي وفي الشِّعر حكمةٌ) لا العبث والخراب حتى وإن رفضه الشعب، بل حتى وإن كان بعيد المدى والأمكنة.

فالشعر عنده ليس نفاقا ولا تملقا ولا مجاملة غير صادقة، (وما أنَا ذُو شِعْر يُنَافِقُ ربَّهُ)، فالوظيفة التي وكّل بها الشعر تكليف وليست تشريف وفخر ومفاخرة تستحق الاشادة ولا الثناء (وما أنَا ذُو شِعْر يُفَاخِر ربَّهُ)

فالشاعر يجب أن يعيش بوطنه ومع وطنه ولوطنه، يعيش همومه وشجونه، يفرح لأفراحه، ويحزن لأتراحه، يصف آلامه وأحلامه، حينذاك يمكن أن نصفه بشاعر الوطن، يقول محمد الصالح خبشاش في قصيدة (إمارة الشعر): (خبشاش، 2024) (خبشاش، 2024، صفحة 211)

وليس بشاعر الأوطان شخص ... على أحزانها أرخى ستاره

وليس بمخلص للشعب رهط **على إخوانه قد شنّ غاره**

ويوضح الشاعر أسس التمكن من إمارة الشعر؛ والتي يستحقها من توفرت في شروط عديدة أهمها في نظر خبشاش: (خبشاش، 2024، الصفحات 211-212)

ونعم خريدة نهضت بشعب **وعن أعطافه نفظت غباره**

وبئس قصيدة عبثت بقوم **فأحدثت التفرق والخساره**

ويعجبني الغيور يرى خلافا **يحمل كالهصور عليه تاره**

فقل للطامحين إلى فخار **بشعر ليس معسول العصاره**

دعوا الأحلام إن الشعر صعب **وما أدركتمو أبدا خياره**

ومن أرضاكم بلذيذ قول **فنبراس الحقيقة ما أناره**

وليست إمرة الشعر تعزى **لغير ذوي الكفاءة والجدارة**

فبلغ للصحافة ما ذكرنا **لتجتنب التجوز في العباره**

انطلاقا من القصيدة الشعرية يمكن حصر هذه الشروط لإمارة الشعر في نقطتين:

- الأول: أن يكون شعر الشاعر معبرا عن قضايا الوطن وهمومه وآلامه وأحلامه
- الثانية: وأن يملك الكفاءة والجدارة في القول الشعري البديع

فالأولى تؤكد اعتناء خبشاش بالوظيفة الاصلاحية والتربوية للشعر، فليس شعرا من لم ينهض بالشعوب وينفض عنها غبار الجهل والبأس واليأس، والشقاء، وهذا ما يسمى بالتأثير الايجابي للشعر، وقد يحمل تأثيرا سلبيا فيكون معول هدم وتقويض ويحدث التفرق والتشتت والخسارة.

أما الثانية فتعني الكفاءة والقدرة على النظم الشعري البديع الراقي الذي يحترم القواعد والأسس التي يقوم عليها الشعر بمفهومه القديم والحديث..

ويصرح محمد الصالح خبشاش ويدعو في شعره إلى خدمة الوطن والتفرغ له وإخلاص العمل من أجله، بطريقة البحتري، يقول في قصيدة (الإخلاص الإخلاص):

من قام يعمل في البلاد بحكمة وتفكر وشجاعة وتبصر

واستعمل الاخلاص في أعماله بشّره بالفوز المبين الأكبر

فافرغ على شعب ضعيف قوة واخدمه يا وطني بشعر البحتري

إن ضرب خبشاش المثال بالشاعر العربي العباسي (البحتري) له أكثر من دلالة وقصدية، فلقد عرف البحتري بكونه شاعر عباسي ذهب في أغلب شعره مذهب القدماء، الذين جددوا المعاني وحافظوا على الألفاظ والأساليب، تميز شعره بالابتعاد عن الغموض والحشو والتعقيد، وبالبعد أيضا عن منطق الفلاسفة وتهافتهم، وكثيرا ما كان يلتزم بالإيقاع الشعري الجميل والبديع، مع عدم الاسراف والتطرف في الاستعانة بالمحسنات اللفظية والمعنوية، بالإضافة على متانة الألفاظ وجودة الأسلوب.

وقد أعلن خبشاش وبعض معاصريه عن رأيه في وظيفة شعره؛ بحيث جعل شعره يؤدي مهمته الاجتماعية، وهي نظرة تبناها الشعراء الجزائريون في المرحلة الأولى من النهضة إلى أواخر الثلاثينيات.. (الرفاعي، 2010، صفحة 163) فقد سخّر الشاعر شعره لخدمة الحياة الاجتماعية والدعوة لنشر الوعي الوطني والأخلاقي والجمالي.

إنَّ نظرة الشاعر محمد الصالح خبشاش إلى وظيفة الشعر جمع فيها بين مهمة الشعر الفكرية الاجتماعية ووظيفته الجمالية، ومرد ذلك تكوينه الثقافي الجيد وإلمامه بالتيارات الأدبية الحديثة، وتثاقفه معها واتقانه للغة الفرنسية واحتكاكه بمبدعيها، مما جعل شعره جميلا ومفيدا في الوقت نفسه، حيث لم يجعل شعره يتجه وجهة اجتماعية بحتة، واعتنى بالمضامين والأغراض دون غيرها من جوانب الشعر الفنية والجمالية.

والملاحظ أن الشاعر مع عنايته بالجوانب الاجتماعية في شعره، لم يمهل الجانب الجمالي فقد شبّه شعره بالسّيف وصوّره بالحكمة والجمال، فالشاعر يريد تحقيق غايتين متكاملتين النضال ضد الأوضاع السيئة وإنشاد شعر جميل ومؤثر، وبهذا الربط بين المهمة الاجتماعية والجمالية يعود بنا إلى نظرة قدماء الشعراء إلى وظيفة الشعر حيث يؤدي الوظيفتين الجمالية والفكرية (عباس، صفحة 169)

فالشاعر يركز دائما على تسخير شعره لخدمة أغراض اجتماعية سياسية ووطنية، فمهمة الشعر عنده تغلب عليها الغايات التي ذكرها، من ذلك قوله في قصيدة (العلمُ فقط..!) (خبشاش، 2024، صفحة 181)

وأَحسَبُ أنَّ الشِّعرَ في القُطرِ صَرْخَةٌ تُنبّهُ مَنْ حولَ الضَّلالِ تَدُورُ

ولكنَّ شعرًا مَا وَعَتْهُ مَسَامعُ وإنْ قامَ فينَا أَخْطَلُ وَجَريرُ

يقدم لنا الشاعر في هذه القصيدة وجهة نظره حول مفهوم الشعر، فهو صرخة مدوية في وجه الظلم والضلال واليأس، وهي وجهة نظر أصيلة في التراث لكنها متجددة عند الحركات الشعرية الحديثة وبخاصة الرومانسية، وهنا نجد خبشاش يتناص مع شاعر من شعرائها، وهو أبو القاسم الشابي، حين يقول:

يا شعر أنتَ فمُ الشعورِ وصرخةُ الروحِ الكئيبْ

ويتناص أيضا مع الشاعر نزار قباني حينما جعل الشعر يقترب من الغضب، بل هو الغضب في قوله:

الشعر ليس حماماتٍ نُطيّرها

لكنه (غضبٌ) طالت أظافره

ما أجبن الشعر إنْ لم يركبِ الغضبا!

لقد أصبح خبشاش يفكر بترك نظم الشعر لأنه وقع في أيدي غير آمنة لوثته وأردته قتيلا مريضا مهزوزا لا يؤدي دوره الأخلاقي والاجتماعي، يقول في قصيدة (مرثية) والتي قالها في فقيد الأدب والوطن الشيخ (محمد العلمي) عميد جريدة النجاح بالعاصمة: (خبشاش، 2024، الصفحات 135-136)

قد هجرت القريض منذ عرفت الشـ شعر لا ينفع الفطين اللبيبا

وخصوصا مذ ادعاه أناس ألبسوه مخازيا وعيوبا

ذاك يهذي وهذا يحكي مقولا (والجنيدي) صار طفلا ربيبا

إنّ وظيفة الشعر عند محمد الصالح خبشاش في الفترة التي عاشها من النهضة الأدبية وإلى أواخر الثلاثينيات – زمن وفاته – توفي سنة 1939- ، تبنى من خلالها رؤية تجمع بين الوظيفة الجمالية والوظيفة الاجتماعية للشعر، وهي نظرة قديمة حديثة. يحاول من خلالها أن يسخر شعره لخدمة الحياة الاجتماعية ويدعو على النهضة ونشر الوعي الوطني والأخلاقي، دون أن يهمل الجانب الجمالي الفني.

إنَّ نظرة الشاعر محمد الصالح خبشاش لمفهوم ووظيفة الشعر واحدة، وهي تنحت من التراث الشعري والنقدي القديم من خلال الحفاظ على المفاهيم التقليدية في صناعته الشعرية، بما وفرته له من أساليب بيانية تقليدية ولغة ملائمة للأغراض التي توخوها تحقيقا للغاية الجمالية للشعر، ووصولاً به إلى ما يطمحون إليه من مستويات جيدة تتيح له القبول والتأثير وتجعله كشعر أسلافهم جميلاً ومفيدا في الوقت نفسه.. (الرفاعي، 2010، صفحة 167)، وهذه هي الغاية والمرام.

خاتمة:

لقد توصل البحث إلى جملة من النتائج منها:

1. إنَّ "الميتا شعر" في مختلف المراحل الزمنية الأدبية التي شهدها شكَّل وجها من أوجه الحداثة الشعرية، عبّر عن الاشتغال النقدي لدى الشاعر القديم والحديث والمعاصر، طرح من خلالها هواجسه المعرفية والفنية والجمالية، فنتج عن ذلك شعرا يحمل بعدا نقديا تفسيريا؛ أكد فيه أن الشّعر لم يعد حرفة وصنعة — للمدح والاسترزاق – فقط بل هو التزام وروح تسري في دم الشاعر.
2. إنّ استدعاء الشاعر للخطاب الميتاشعري يمثل توجها تقنيا للتعبير عن المشروع الفني والجمالي للشاعر، يقدم من خلاله رؤيته وتفكيره وغايات شعره.
3. حاول الشاعر محمد الصالح خبشاش من خلال الخطاب الميتاشعري أن يقدم صورة من صور النقد الذاتي، وبحث عن الهاجس الشعري، وحل لقلق الشعر الذي يؤرقه.
4. لقد عبرت الميتاقصيدة لدى خبشاش عن علاقته بالشعر، وفتحت فضاءً لطرح أسئلة نقدية تتعلق بتعريف الشعر ووظيفته وما يعانيه الشاعر في سعيه نحو شعر ناهض ناضج واع يخدم به وطنه وأمته.
5. إنَّ مفهوم الشعر ووظيفته لدى خبشاش والتي تجلت في شعره الميتاشعري لم تخرج عن ما واعاه وما درسه في التراث الشعري والنقدي العربي القديم، وما تأثر به من مدارس شعرية حديثة كالرومانسية، – بصفة خافتة – فالشعر عنده كلام موزون مقفى، يؤثثه الأسلوب والبلاغة والخيال والصورة والعروض، وهو أيضا شعور حي صادق ملهم، وصرخة مدوية في وجه الظلم والظلام.
6. حافظ الشاعر على وظيفة الشعر الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.
7. إنَّ للشعر عند محمد الصالح خبشاش رسالة تثويرية تنويرية، وهو شعر مقاومة جمع بين الموقف والتشكيل معا. إذ لم يتعامى عن الموقف ولم ينس ذاته الشعريّة —بنسب متفاوتة– .

المصادر والمراجع:

الرفاعي, أ .ش. (2010). *الشعر الوطني الجزائري، من سنة 1925 إلى سنة 1954.* عين مليلة, الجزائر: دار الهدى.

الشابي, أ .ا. (1955). *أغاني الحياة (ديوان)* (ط 1 ed.). القاهرة: دار الكتب الشرقية، دار مصر للطباعة.

المتنبي .(n.d.). *الديوان.*

خبشاش, م .ا. (2024). *ديوان الوطني الصميم، محمد الصالح خبشاش، جمعه واعتنى به: موسى كراد.* الجزائر: دار إلياء للنشر والتوزيع.

طباطبا, ا. (1956). *عيار الشعر تحقيق طه الجابري ومحمد زغلول اسلام،* . القاهرة.

عباس, إ. (n.d.). *فن الشعر* (ط 3 ed.). بيروت: دار التقافة.

عبد اللطيف الوراري. (بلا تاريخ). *الميتاشعري بوصفه خطابا (1-2): عندما تفكر القصيدة في نفسها ومآلاتها.* تاريخ الاسترداد 12 ديسمبر, 2024، من https://www.alquds.co.uk/: https://www.alquds.co.uk

فخر الدين, هـ. (2021). *الميتاشعرية في التراث العربي من الحداثيين إلى المحدثين* (Vol. 1). (علي آ., Trans.) السعودية: دار أدب للنشر والتوزيع.

قباني, ن .(n.d.). *الأعمال السياسية الكاملة* ،. بيروت: منشورات نزار قباني.

References :

- Al-Rifai, A. Sh. (2010). Algerian National Poetry, from 1925 to 1954. Ain Mellila, Algeria: Dar Al-Huda.
- Al-Shabi, A. A. (1955). Songs of Life (Diwan) (1st ed.). Cairo: Dar Al-Kutub Al-Sharqiya, Dar Misr for Printing.
- Al-Mutanabbi. (n.d.).
- Diwan. Khabshash, M. A. (2024). The Authentic National Diwan, by Muhammad Saleh Khabshash, compiled and edited by: moussa Karad. Algeria: Dar Ilya for Publishing and Distribution.
- Tabataba, A. (1956). The Measure of Poetry, edited by Taha Al-Jabri and Muhammad Zaghloul Islam. Cairo.
- Abbas, I. (n.d.). The Art of Poetry (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Thaqafa.
- Abdul Latif Al-Warari. (n.d.). Metapoetry as Discourse (1-2): When the Poem Thinks About Itself and Its Outcomes. Retrieved December 12, 2024, from https://www.alquds.co.uk/: https://www.alquds.co.uk/
- Fakhr Al-Din, H. (2021). Metapoetics in Arab Heritage from Modernists to Contemporary Writers (Vol. 1). (A. Ali, Trans.) Saudi Arabia: Dar Adab for Publishing and Distribution.
- Qabbani, N. (n.d.). The Complete Political Works. Beirut: Nizar Qabbani Publications.